علم البديع

البديع [١] علم يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال وهذه الوجوه ، ما يرجع منها إلى تحسين المعنى يسمّى بالمحسّنات المعنويّة ، وما يرجع إلى تحسين اللفظ يسمّى بالمحسنات اللفظيّة .

الباب الأول

فى المحسنات المعنوية

المحسّنات المعنويّة كثيرة المشهور منها :

١ التورية ، وهي أن يذكر لفظ له معنيان : قريب و بعيد هو المقصود لقرينة خفيّة ، كقوله :

أرى ذَنَبَ السِّرْحانِ في الأُفْقِ ساطعًا فهل ممكنٌ أنّ الغزالة تَطْلُعُ [٢]

---

١ ـ هو عندهم فن تحسين الانشاء : ornements du style ، يرجع بعضه الى المعنى ويعود الآخر الى اللفظ ٢ — ذنب السرحان هو ضوء يبدو فى الافق آخر الليل ثم تعقبه ظلمة . ويسمى أيضا بالفجر الكاذب ، والافق ناحية السماء التى تظهر كأنها متصلة بالارض ، والساطع المرتفع المنتشر ، والمراد بالغزالة ههنا معناه البعيد ، وهو الشمس بقرينة ذكر ذنب السرحان والافق .

٢ الطِّباق[1] : وهو الجمع بين معنيين متنافيين[2] ـ نحو لله الأول والآخر ؛ وهو يُحيي ويُميت؛ ولكلٍّ نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت

تنبيه ـ الطباق فى الاول بين اسمين ، وفى الثانى بين فعلين ، وفى الثالث بين حرفين .

٣ المقابلة ، وهي أن يؤتي بمعنيين أو أكثر ، ثم بما يقابل كلاً منهما على الترتيب ، كقوله :

ما أحسنَ الدِّينَ والدنيا ، إذا اجتمعا؛ وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ

فوائد

الاولى : للطباق ضرب آخر يدعى طباق السلب[3] ، وهو أن يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفى ـ نحو يستحى من الناس ، ولا يستحى من الله ؛

الثانية : يلحق بالطباق ايهام التضاد ، وهو مابنى على المضادة تأويلا فى المعنى ، أو تخييلا فى اللفظ ـ نحو يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ؛ من تولاه ، فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير .

الثالثة : متى ذكر فى أثناء الكلام ألوان يراد بها التورية أو الكناية ، ووقع التقابل بين الالوان كان نوع من البديع يسمى التدبيج من حقه أن يعد حينئذ من الطباق نحو ـ يوم تسود وجوه ، وتبيض وجوه .

٤ مراعاة النظير ، وهي أن يجمع بين أمر وما يناسبه بغير التضادّ ، كقوله :

أَلخيلُ ، واللّيلُ ، والبيداء ، تعرفني ، والسيفُ ، والرمحُ ، والقرطاسُ ، والقَلَمُ

---

١ ـ الطباق : l'antithèse ، وهو الجمع بين ضدين لفظا ومعنى فى الجملة الواحدة إلا أنه أعم من المعروف عندنا ، فيتناول المقابلة أيضا ، ويناسب هذه وحدها مايدعونه parallélisme ،

٢ ـ يشترط أن يكون ذلك فى كلام واحد ، أو ما فى حكمه كالكلامين الذين بينهما اتصال تام

٣ ـ هو ما يدعوه الافرنج : l'antimétathèse ، وهو إعادة الكلمة بعينها بشرط أن يكون بينها وبين الاولى تضاد ، وذلك لا يتأتى إلا بادخال النفى وشبهه عليها

٥ الاستخدام ، وهو أن يذكر لفظ بمعنى ، ويُعاد إليه ضمير أو إشارة بمعنى آخر ، أو ضميران يراد بثانيهما غير ما أُريد بأولهما ، فالأول ، كقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم . رعيناه ، وإن كانوا غضابا[1]

والثاني ـ نحو نزلت العقيق[2] . وظلمت من ذلك عقداً : والثالث ، كقوله :

والعين[3] قرّت بهم لما بها سمحوا ، واستخدموها مع الأعدا فلم تَنَم

٦ الجمع[4] ، وهو أن يجمع بين متعدد في حكم واحد ، كقوله :

إنَّ الشباب والفراغ والجِدَهْ مَفْسدة للمرء أيُّ مفسدهْ[5] .

٧ التفريق[6] ، وهو أن يفرّق بين متعدد من نوع واحد ، كقوله :

مانوال الغمام يوم ربيع ، كنوال الأمير وقت سخاءِ

فنوال الأمير بَدْرةُ عينٍ ونوال الغمام قطرة ماء[7]

---

١ ـ ذكر السماء أولا بمعنى المطر ، وأعاد عليها الضمير فى قوله : رعيناه ، بمعنى النبات

٢ ـ أراد بالعقيق موضع ببلاد العرب ، وباشارانه الخرز المعروف الذى تتخذ منه العقود ، وتعمل منه الفصوص ٣ ـ أراد بالعين الباصرة ، وأعاد عليها الضمير فى ، بها ، بمعنى الذهب ، وفى ، استخدموها ، بمعنى الجاسوس ٤ ـ الجمع ، l'accumulation ، ضرب من المحسنات فيه يجمع بجملة واحدة تفصيلات تبسط المعنى الرئيسي ، والفرق ظاهر بين هذا التعريف ومايراد به عندنا ٥ ـ الشباب الفتاء والقوة ، والفراغ : ترك العمل ، والجدة : الغنى ، وأي بمعنى أعظم صفة لمفسدة مرفوعة ، والشاهد فيه أنه حكم على الشباب والفراغ والجدة بحكم واحد ، وهو الافساد

٦ ـ التفريق : le paradiastole ، هو التمييز بين فكرتين متشابهتين لئلا يقع الخلط أيهما ٧ ـ النوال : العطاء ، والغمام السحاب ، والبدرة عشرة آلاف درهم ، والشاهد فيه هو به فرق بين عطاء الغمام ، وعطاء الامير .

٨ التقسيم[١]، وهو إمّا استيفاء أقسام الشيء، كقوله :

إنّما هـذه الحياةُ متاعٌ والجاهلُ الجاهلُ من يصطفيها
ما مضى فاتَ والمؤمَّلُ غيبٌ ولك الساعةُ التي أنت فيها[٢]

وإمّا ذكر متعدّد، وإرجاع ما لكلٍّ إليه على التعيين، وهو التفسير ـ نحو : لا ينجح إلاّ المتأدّبُ والمجتهدُ : هذا باجتهاده، وذاك بحسن سيره[٣]

وإمّا ذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كلّ منها ما يليق به، كقوله :

أنتَ بَدْرٌ حُسناً، وشمسٌ عُلوّاً، وحُسامٌ عِزّاً، وبحرٌ نوالاً[٤]

تنبيه

يقرب من التقسيم بضعة أنواع بديعية لا تختلف عنه كثيرا، منها الطي والنشر، كقوله :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

والايضاح، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم. وكلها متقاربة.

٩ تأكيد المدح بما يشبه الذمّ، وهو إمّا أن يستثنى من صفة ذمّ

---

١ ـ التقسيم : « l'énumération des parties » هو أن يلم بذكر أقسام الشيء وأهم ظروفه. ٢ ـ المراد بالمتاع هنا ما ينتفع به انتفاعا قليلا والجاهل الثاني صفة للأول، لانه بمعنى الشديد الجهل أو الكامله، وقد استوفى أقسام الزمن فى البيت الثانى حيث ذكر الماضى والمستقبل معبرا عنه بالمؤمل، والحال معبرا عنه بالساعة التى أنت فيها ٣ ـ الاشارة الاولى للمجتهد، بدليل القرب، والثانية للمتأدب بدليل البعد، ومن هنا جاء التعيين

٤ ـ الشاهد فيه اضافة أى نسبة الحسن للبدر، والعلو للشمس، والعز للحسام، والنوال للبحر، وكل لائق بما نسب اليه ٥ ـ الطي والنشر، « la distribution » أى قسمة الكلام أقساما عديدة تسهيلا لبسطه على نكرة ما ٦ ـ يشبه هذا الضرب من الكلام ما يدعى : « asléisme » وهو أن يستر المدح والتملق بستار الذم أو التوبيخ

منفيّةٍ صفة مدح على تقدير[1] دخولها فيها ، كقوله :

لاعيبَ فيهم سوى أنّ النزيلَ بهمْ يسلو عن الأهلِ والأوطان والحشمِ

وإمّا أن يثبت لشيء صفة مدح ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى ، كقوله :

فتى كملت أوصافُهُ غيرَ أنّهُ جوادٌ فما يُبقي على المال باقيا

تنبيه

قد يلحق بهذا النوع ثلاثة أخرى لقرابة بينهن وهي : الهزل الذى يراد به الجد ، كقوله :

اذا ما تميمى أتاك مفاخراً فقل عد عن ذا ، كيف أكلك للضب

والهجو فى معرض المدح ، والتهكم[2] نحو قوله :

يا له من عمل صالح يرفعه الله الى أسفل

١٠ حسن التعليل ، وهو أن تدّعى لوصف علةٌ غيرُ حقيقيةٍ[3] ، كقولهِ :

مازُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيدٍ أَلَمَّ بها لكنّها رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكم طَرَبا

١١ ائتلاف اللفظ مع المعنى . وهو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني ، بأن يؤتى بالعبارة الشديدة لنحو الفخر والحماسة ، واللّينة لنحو الشوق

---

١ ــ أى صفة المدح فيها أي فى صفة الذم المنفية كما فى البيت ، فان الشاعر يقول : لا عيب فيهم سوى سلو النزيل أى نسيان الضيف أهله ، ووطنه ، وحشمه ، وخدمه ؛ أى ان كان هذا عيبا ، فلا عيب فيهم غيره ، ومعلوم أنه ليس بعيب

٢ ــ الهجو فى معرض المدح : le chleuasme ، والتهكم : l'ironie ، وهذا أنواع مرجعها إخراج الكلام على غير مايشعر به المتكلم أو بريده ، بأساليب تختلف بين الرقة والشدة ، والهزل والجد ، والمدح والهجاء ، واللطف واللذع . وهلم جرا ٣ ــ أي غير مطابقة للواقع بمعنى انها ليست هى العلة فى نفس الأمر بل بالاعتبار والتخيل ، كما فى البيت ، فانه ادعى للوصف الذى هو الزلزال علة ، وهى أنها رقصت طربا من عدل الحاكم ، وتلك العلة غير حقيقية ، بل بالاعتبار والتخيل .

والاستعطاف ونحوهما ، كقوله :

إذا ما غضبنا غضبةً مُضَرِيَّةً ، هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرّنا سيّداً من قبيلةٍ ذرى منبرٍ ، صلّى علينا وسلّما

وقوله :

أَرَجُ النسيم سرى من الزَّوْراءِ سَحَراً فأحيا ميتَ الأحياءِ

١٢ أُسلوب الحكيم ، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقّبه ، أو السائل بغير ما يطلبه ، تنبيهاً على أنّه هو الأولى بالقصد[١] ؛ فالأوّل يكون بحمل الكلام على خلاف مراد قائله ، كقول القَبَعْثَري[٢] للحجّاج[٣] ، وقد توعّده بقوله : لأحملنّك على الأدهم[٤] : « مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب[٥] . » فقال له : « ويلك ! إنما أردت الحديد[٦] . » فقال : « لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً[٧] . »

---

١ ــ أي غير المترقب والمتطلب هو الاحق بأن يقصده المخاطب والسائل ٢ ــ هو رجل من رؤساء العرب وفصحائهم ، كان من الخوارج الذين خرجوا على الامام علي ؛ وسبب توعد الحجاج إياه أنه كان جالسا مع بعض أصحابه ببستان فيه حصرم ، فجرى ذكر الحجاج ، فقال القبعثري : « اللهم سود وجهه ، واقطع عنقه ، واسقني من دمه . » فبلغ ذلك الحجاج . فاحضره وقال له : « أنت قلت كذا وكذا ؟ قال : « نعم ولكني أنكلم على الحصرم لا عليك » فقال : « لاحملنك الخ » ثم قال لاعوانه : « احملوه . ففعلوا . فقال القبعثرى : « سبحان الذى سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين » فقال : « لطرحوه على الارض ، فلما صار عليها قال : « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى » فسحر الحجاج ببلاغته فعفا عنه ٣ ــ هو الحجاج بن يوسف عامل بني أمية على العراق . كان مضرب المثل في القساوة والظلم ٤ ــ كنى بهذه العبارة عن تقييد القبعثرى بالحديد

٥ ــ يريد بالأدهم الفرس الأسود ، وبالاشهب الذى غلب بياض شعره على سواده .

٦ ــ الحديد أي المعدن المعروف ٧ ــ يريد بالحديد الحاد أى المضى السريع . والبليد ضده .

والثاني يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر مناسب لحالة السائل، كقول أستاذ لتلاميذه، وقد استخبروه عن الامتحان: « اجتهدوا [١] » .

أسئلة

١ ـ ما هو علم البديع؟ ٢ ـ ما الفرق بين المحسنات المعنوية واللفظية؟ ٣ ـ اذكر أنواع المحسنات المعنوية ٤ ـ ما الفرق بين التورية والاستخدام؟ ٥ ـ ما الفرق بين الطباق والمقابلة؟ ٦ ـ ما هي مراعاة النظير؟ ٧ ـ ما هو الجمع؟ ٨ ـ ما هو التفريق؟ ٩ ـ اذكر التقسيم بأنواعه الثلاثة ١٠ ـ ما هو تأكيد المدح بما يشبه الذم؟ ١١ ـ ما هو حسن التعليل؟ ١٢ ـ ما هو ائتلاف اللفظ مع المعنى؟ ١٣ ـ ما هو أسلوب الحكيم؟

تمرين

بيِّن أنواع المحسنات البديعيّة فيما يأتي — :

١ تأمّل إلى الرياض والنهر إذ جرى ودمعها بين الرياض غزيرُ
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما، فأصبح ذا يجري، وذا يدورُ

٢ والصبح قد أخذت أنامل كفّه في كلّ جيب للظلام مزرّرِ
فكأنما في الغرب راكب أدهمٍ يحتثُّه في الشرق راكب أشقرِ

٣ أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجوْنَ نجوم

٤ أراعي النجم في سيري إليكم ويرعاه من البيدا جوادي

٥ والحلم والجود فيه والعفاف، وما تحوي الكرام من الاخلاق والشيم

---

١ ـ هذا جواب الاستاذ عن سؤالهم، بعد تنزيله منزلة سؤال آخر، فكأنّهم سألوه عن الاجتهاد الذي هو أنسب لحالهم من سؤالهم عن الامتحان. فقال لهم: « اجتهدوا ».

٦ تجود كفّيه لم تقلع سحائبه عن العباد ،وجود السحب لم يقم

٧ وأعلم علم اليوم والذي قبله ولكني عن علم ما في غدٍ عمِ

٨ فانّ الحقّ مقطعه ثلاث يمين أو شهود أو جلاء

٩ فتى كملت أوصافه غير أنّه جواد فما يبقي على المال باقيا

١٠ يا واشياً حسنت فينا إساءتُهُ نجّى حذارُك إنساني من الغرقِ

١١ لهم أسامٍ سوامٍ غير خافيةٍ من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم

١٢ فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا أنعم صباحاً أيها الربعُ واسْلَمِ

١٣ وحياتكم ، وحياتكم قسما وفي عمري بغير حياتكم لم أحلفِ

لو أنّ روحي في يدي وهبتها لمبشّري بقدومكم لم أنصفِ

وثمّ بعضُ أشكالٍ دون ما تقدّم شهرةً منها :

١٣ الالتفات[1] ، وهو انصراف المتكلّم من الاخبار إلى الغيبة أو الخطاب وقيل : من كلٍّ من المتكلّم ، والخطاب ، والغيبة إلى صاحبه : على غير ما يقتضيه سياق الكلام : افتناناً في الخديث ، وحملا للسامع على فضل إصغاء، كقوله:

متى كان الخيامُ بذي طلوحٍ سقيت الغيث أيتها الخيامُ[2]

وقوله :

تطاوَلَ ليلُك بالأثمدِ ونام الخليُّ ، ولم أرقُدِ[3]

---

١ ـ الالتفات : l'enallage ، هو استعمال الماضى بدلا من غيره أو الغائب عوضا عن المخاطب أو المفرد بدلا من الجمع ٢ ـ انتقل الشاعر من الغيبة فى الشطر الاول الى الخطاب فى الشطر الثاني ٣ ـ القياس أن يقول « ولم ترقد » لكنه انتقل من الخطاب الى التكلم فقال : « ولم ارقد »

١٤ تجاهل العارف[1] وهو أن يساق المعلوم مساق المجهول ، لنكتة كالتعجب ، والمدح ، والذم ، والتوبيخ ، والإنكار — نحو أفسحرٌ هذا أم أنتم لاتبصرون ؟ وأقومُ آل حصن أم نساء ؟ وكقوله :

أيا شجرَ الخابورِ مالَكَ مُورقاً ! كأنّك لم تجزع على ابن طريفِ ؟

١٥ إرسال المثل[2] ، وهو أن يأتي الشاعر في بيته ، والناثر في فقرةٍ من كلامهِ ، بمثلٍ أو ما يجري مجرى المثل ، من حكمة أو تنبيه أو نحو ذلك ، ممّا يصحّ أن يتمثّل به ، كقوله :

اعلّلُ النفسَ بالآمال أرقبها «ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمَلِ !»

ويقرب من هذا النوع الكلام الجامع ، ويكون في بيت كامل من الشعر ؛ ويحاكيهما التمثيل .

١٦ المبالغة[3] ، وهي أن يُدّعَى لشيء وصفٌ يزيد على ما في الواقع .

وهي ثلاثة أقسام : التبليغ ، أو وصف شيء بالممكن في العقل والعادة ، كقوله :

ونُكرِمُ جارَنا ما دامَ فينا ونُتبعُهُ الكرامةَ حيثُ مالاَ

---

١ — تجاهل العارف : la dubitation ou interrogation ، هو أن يخرج المتكلم بالاستفهام عن معناه ، أو بضع ما يعرفه موضع الشك لكي يتلافى الاعتراض ويفنده

٢ — إرسال المثل : l'application ، هو أن يستشهد الخطيب بكلمة معروفة أو جملة مأثورة تعزيزا لكلامه ٣ — المبالغة : l'hyperbole ، هي ضرب من التعبير يدور على ألسنة البشر ، فلا تختص بها لغة دون أخرى ، وقيل في تعريفها عند الافرنج هي التعبير بكلام ، اذا أخذ بحصر معناه تجاوز حدود الحقيقة ، والمراد بهذا الضرب من الاساليب التأثير في نفس السامع .

والإغراق ، وهو وصف الشيء بالممكن في العقل دون العادة ، كقوله:

لا تراني مُصافحاً كفَّ يحيى[1] ، إنّني ، إن فعلتُ ، ضيّعتُ مالي
لو يَمَسُّ البخيل راحةَ يحيى لَسَخَتْ نفسُهُ ببذلِ النَّوالِ

والغُلُوّ ، وهو الوصف بالمستحيل في العقل والعادة ، كقول زهير :

لو كان يُقْعَدُ فوقَ الشمس من كَرَمٍ قومٌ بآبائهم أو مجدِهِمْ قَعَدُوا

والمقبول من الغُلُوّ ما ضُمّ إليه ما يُقَرِّبُه إلى الصحّة[2] كفعل مقاربة ، أو أداة فرض مثل كاد ، ولو ، أو جاء في معرض هَزْلٍ ، كقوله :

لَكَ أنفٌ يا ابن حَرْبٍ أُنِفَتْ منهُ الأُنُوفُ
أنتَ في البيت تُصَلِّي وهو في السوق يَطُوفُ

١٧ التلميح[3] ، وهو أن يشار في أثناء الكلام إلى قصة معلومة ، ونحوها ، كقوله :

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحرُ والساحرُ[4]

ويدخل في باب التلميح العنوان ، وهو أن يأخذ المتكلّم في غرض

---

١ ــ هو ابن خالد البرمكي ، تقلد أعمالا للمنصور فالمهدي ، ولما ولي الرشيد الخلافة استوزره وفوض اليه أمور المملكة ، ثم تغير عليه فسجنه إلى أن مات سنة ٨٠٥ م . ١٩٠ هـ . وكان من الفضل والنبل والكرم على جانب عظيم

٢ ــ فان خرج عن حد المعقول ، ولم يضم إليه مايقربه الى الصحة عد ساقطا مرذولا ، ويدعى حينئذ عند الافرنج ، enflure .

٣ ــ التلميح ، l'allusion ، هوعندهم تنبيه الخاطر بكلمة إلى حادث أوشخص وما أشبه دون تصريح . ٤ ــ في هذا البيت إشارة الى ماجاء في قصة موسى في سورة الاعراف : فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين . . . فاذا هي تلقف ما يأفكون » .

له من وصف أو فخر ونحوهما . ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون إشارة لأخبار متقدمة . وقصص سالفة . كقوله:

ومن فعل المعروفَ معْ غير أهله يلاقي كما لاقى مجير أمّ عامرِ[1]

١٨ النزاهة[2] . وهي أن يأتي الشاعر . في معرض الهجو وما شاكله ، بألفاظ محتشمة ، منزّهة عما يخدش الآذان الطاهرة ، وينفر منه ذوو الاطباع اللطيفة . كقوله:

فغضَّ الطَّرف إنك من نُميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

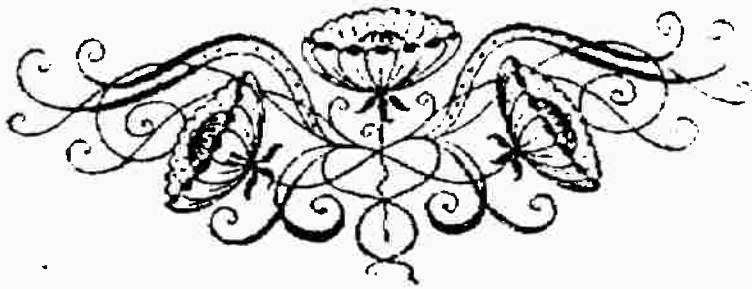

---

١ ــ أم عامر : لقب الضبع وفي البيت اشارة الى ما حدث لأحدهم . وقد عطف على ضبع لجأت الى بيته ، ومكثت عنده أياما يطعمها ويسقيها اللبن ، ويكرمها فانتهزت فرصة ، فبقرت بطنه ، وولغت دمه

٢ ــ النزاهة : l'euphémisme . نوع يراد به عندهم التعبير بالتلميح دون التصريح عما يحزن أو يشاءم به ، أو يستحيا من ذكره ، أو يشمأز منه ، وذلك ما حمل الاقدمين على التعبير عن بعض الاشياء بأضدادها تفاؤلا .

الباب الثاني

في المحسّنات اللفظيّة

ألمحسّنات اللفظيّة كثيرة ، منها :

١ ألجناس ، وهو تشابه اللفظين في النطق [١] لا في المعنى ؛ ويكون تامًّا وغير تامّ ؛ فالتامّ ما اتّفق لفظاه في عدد الحروف وهيئاتها ونوعها وترتيبها — نحو أصلحتُ ساعةً في ساعة . وغير التامّ ، هو ما اختلف لفظاه في عدد الحروف ، أو هيئاتها أو نوعها ، أوترتيبها — نحو الهوى مطيّة الهوان ؛ وإذا زلّ العالِم ، زلّ بزلّته العالَم ؛ والخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير ؛ والجاهل لا يعلم ما يعمل [٢] .

---

١ — أى فى التلفظ بهما ، بأن تكون حروفهما متحدة ، أما كلا كما فى ساعة وساعة ، وأما جلا كما فى الخيل والخير ، لا فى المعنى ، أى بأن يختلف معناهما ، فيخرج نحو ضرب وعلم لانهما لم يتفقا إلا فى عدد الحروف ، وأسد وضيغم لانهما لم يتفقا إلا فى المعنى ، وقام زيد قام ، لاتفاقهما فى اللفظ والمعنى معا — واعلم أن الجناس التام يدعى فى الفرنسية ، antanaclase ، وعرفوه بقولهم : ، هو إعادة الكلمة فى الجملة الواحدة بغير معناها الاول ، كما دعى الجناس المطرف أو اللاحق ، paronomase ، نحو ليل دامس وطريق طامس . وما سوى ذلك من الجناس سيأتى ذكر بعضه ولا يكاد يوجد له أثر فى غير العربية ٢ — الاول مثال للاختلاف فى العدد بين الهوى والهوان — والهوى ميلان النفس الى الشهوات ، والمطية الركوبة ، والهوان الذل ؛ — والثانى للاختلاف فى الهيئة بين العالم والعالم — والثالث للاختلاف فى النوع بين الحرف الاخير من خيل وخير ؛ والنواصى جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس ، والرابع للاختلاف فى الترتيب بين علم ويعمل .

٢ والسجع[١] . وهو توافق الفاصلتين نثراً في الحرف الأخير ـ نحو لا تبادرْ بالجواب ، قبل استيفاء الخطاب

٣ الاقتباس ، وهو أن يضمّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث على وجهٍ لايكون فيه إشعار بأنّه منهما[٢] ـ نحو لاتتخذوا الدنيا الفانية سوقا، إنّ الباطل كان زهوقاً . وإنّما الأعمال بالنيات ، فلا تفعلن شيئاً رياءً للمخلوقات .

ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره ، كقوله :

وليس للإنسان إلا ماسعى، نَعَمْ ، وإنّ سعيَهُ سوف يُرَى

فائدة

إن غير المقتبس تغييرا كثيرا ، خرج عن باب الاقتباس الى باب العقد ، وهوان يعمد الناظم إلى كلام منثور فينظمه متصرفا فيه بما يلائم الوزن من تغيير وتقديم وتأخير ، وحذف ونحو ذلك كقوله :

كفى حزنا بدفنك ثم أنى نفضت تراب قبرك عن يدىا
وكانت فى حياتك لى عظات ، فأنت اليوم اوعظ منك حيا ،

فانه عقد فى عجز البيت الثاني قول أحد الحكماء ، لما مات الاسكندر : ، كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس

٤ الحل ، وهو أن يعمد الكاتب إلى مانظمه غيره، فيرويه بالنثر، بلفظه

---

١ ـ السجع: « l'homœoptote » ، هواستعمال كلمات متجاورة تتواطأعلى حرف واحد

٢ ـ أى يؤتى بشىء من لفظ القرآن والحديث فى ضمن الكلام بطريقة وكيفية ليس فيها دلالة على أن ذلك الشىء منهما

أو بعضه ، نحو قوله : « العيادة سنّة مأجورة ، ومكرمة مأثورة ، ومع هذا فنحن المرضى ، ونحن العُوّاد ، وكلُّ وداد لايدوم ليس بوداد . » حلّ فيه قول القائل :

إذا مرضنا أتيناكم نعودُكُم ، وتذنبون فنأتيكم ونعتذرُ

٥ التضمين ، أو الإيداع أو الاستعانة : هو أن يُضمِّن الناظم شعره شيئاً من شعر غيره ، بعد أن يوطىء له توطئة حسنة تلحمه بكلامه ، ويكون ببيت أو ببعض بيت ، كقوله :

إياك يعني من غدا متناشداً بيتاً رووْهُ على مرور الأعصُرِ :
« وإذا تباع كريمة أو تُشترى فَسَواك بائعها ، وأنت المشتري »

وقول الآخر :

على أني سأُنشد عندَ بيعي : « أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ! »

ولا بدّ من التنبيه على المضمَّن ، ما لم يكن من شعر مشهور لدى الأُدباء .

٦ سرقات الكلام ، وهي أن يأخذ الناثر أو الشاعر معنى لغيره بدون تغيير ، وهو النسخ والانتحال ، كقول عبد الله بن الزَّبير الشاعر منتحلا بيتي معن ، وهما :

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاك ، وجدتَهُ على طَرَفِ الهجران ، إن كان يعقلُ
ويركَبُ حدَّ السيف من أن تَضيمَهُ إذا لم يكن عن شفرةِ السيف مَزْحَلُ

أو بتغيير يسير . كأن تبدل الألفاظ بما يرادفها أو بما يضادّها في المعنى، كما لو قيل في بيت حسان :

«بيض الوجوه كريمة أحسابهم شُمّ الأنوف من الطِراز الأوّل»

سود الوجوه لئمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخِرِ

فإن أخذ المعنى دون اللفظ . وكان الكلام الثاني دون الأول أو مساوياً له ، دعي إغارة ، ومسخاً ، كما قال أبو الطيب في قول أبي تمام:

«هيهات لا يأتي الزمان بمثله إنّ الزمان بمثله لبخيل»

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلا

أو يؤخذ المعنى وحده ، ويكون الثاني دون الأول أو مساوياً له ، وهذا يسمّى إلماما وسلخاً ، كقول أبي تمّام :

«والصبر يُحْمَدُ في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يُحْمَدُ»

وقد كان يُدعى حامل الصبر حازماً فأصبح يدعى حازماً حين يجزعُ

خاتمة

فى حسن الابتداء والتخلص والانتهاء

١ حسن الابتداء هو أن يجعل أوّل الكلام عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى ، كقوله :

طلعتم بدوراً في أعزّ المطالع فَبَشَّرني قلبي بسعد طَوالعي

وإن كان فيه إشارة لطيفة إلى المقصود ازداد بها حسنا ، وسمي ببراعة الاستهلال ، كقوله في التهنئة بالشفاءِ من مرض :

المجدُ عُوفي إذ عوفيتَ والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك السّقَمُ

٢ حسن التخلص هو الانتقال ممّا افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود برابطة تجعل بعضه آخذاً برقاب بعض، كقوله:

خليليَّ إني لا أرى غيرَ شاعرٍ فكلّهم الدعوى ، ومني القصائدُ

فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرةٌ ؛ ولكنَّ سيف الدولة اليومَ واحدُ[1]

---

١ ــ فتراه قد ابتدأ كلامه بمدح نفسه وذم غيره من الشعراء فى البيت الأوّل ، ثم تخلص فى البيت الثانى الى مدح سيف الدولة برابطة لطيفة ، وهى قوله : « فلا تعجبا أن السيوف كثيرة » جعلت الكلام آخذا بعضه برقاب بعض ، كأنما أفرغ فى قالب واحد ، ومسوق لمعنى واحد.

٣ حسن الانتهاء، هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى ، تامّ الفائدة ، كقوله :

وأنت جديرٌ إذا بلغتك بالندى ؛ وإني بما أمّلتُ منك جديرُ

فإن تولني منك الجميل ، فأهله ؛ وإلاّ فإنّي عاذرٌ وشكورُ

وإذا اشتمل على ما يشعر بالانتهاء، ازداد حسناً وسمي ببراعة المقطع ، كقوله :

حسن ابتدائي به أرجو لتخلُّصَ من نار الجحيم ، وهذا حُسن مختتمي

أسئلة

١ ــ اذكر انواع المحسنات اللفظية ٢ ــ ما هو الجناس ؟ ٣ ــ ما الفرق بين الجناس التام وغير التام ؟ ٤ ــ ما هو السجع ؟ ٥ ــ ماهو الاقتباس ؟ ٦ ــ ماهو حسن الابتداء ؟ ٧ ــ ماهو حسن الانتهاء ؟ ٨ ــ ما الفرق بين براعة الاستهلال والمقطع

بيّن أنواع المحسنات اللفظية فيما يأتي — :

١ إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلَمِ وقل سلامٌ على عُرْبٍ بذي سلَمِ

٢ يُريك يسارها أوفى يسار وباليمنى تنالُ ندى ويُمنا

٣ عضّنا الدهر بنابهْ ليت ما حلّ بنابهْ

كلُّ من مال إليهِ خاملٌ ليسَ بنابهْ

٤ فنحنُ في جذلٍ ، والروم في وجلٍ والبرُّ في شُغُل ، والبحر في خجلِ

٥ قالوا الحميّا شرابٌ للأنسِ والبسطِ جاءت

فقلتُ ردّاً عليهم : « بئس الشراب وساءت »

٦ نثرت عقودَ سمائها الأنداء بيدِ النسيم فللثرى إثراء

٧ ألسيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ
٨ حكمُ المنيّةِ في البريّةِ جارٍ ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ
٩ قد شرّفَ اللهُ أرضاً أنتَ ساكنها وشرّفَ الناسَ إذ سوّاكَ إنسانا

تنبيهات

أولا : إعلم أن أنواع البديع تبلغ نحو مائة وخمسين نوعا ، وقد مر الكلام على كثير منها فى تضاعيف الكتاب ، فى غير بابها : فان أنواع الاطناب مثلا ، والايجاز والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية وضروبها تعد من المحسنات البديعية ـ ثانيا : أن كثيرا من الاشكال البديعية متشابهة لا يكاد يلحظ الفرق بينها ، وقد أشير الى البعض فى مواضعه ، وأهمل البعض الآخر لندور وقوعه فى الكلام ؛ ـ ثالثا : أن بعض المحسنات لا يستعمل إلا فى الشعر ، والبعض الآخر نادر أو هو صناعة لفظية لا كبير أمر وراءها ، ولا تورث المعنى بهجة ورونقا ، فلذلك أهمل ذكرها تماما . إلا أنه تتميما للفائدة نذكر بعضها هنا إرضاء لطالبي التوسع ، فمن هذه الانواع :

١ تشابه الأطراف[1] ، وهو ضرب من التكرار يقوم بأن يذكر الناظم لفظة القافية في أول بيت يليها ، كقوله :

إذا نزلَ الحجّاجُ أرضاً مريضةً تتبّعَ أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداءِ العضالِ الذي بها هُمامٌ إذا هزّ القناة سقاها

٢ التشريع ، أو ذُو القافيتين[2] ، هو أن يبني الشاعر بيته على قافيتين ، بحيث إذا أسقط بعضه كان الباقي شعراً مفيداً ، كقوله :

لا يعرفُ الشوقَ إلاّ من يكابدُهُ ولا الصبابةَ إلا من يعانيها

---

١ ـ تشابه الاطراف : la palinlogie, l'anadiplose ، هو ضرب من التعبير يقوم باعادة آخر كلمة من جملة أو بيت شعر فى أول ما يلي ، أو يبدأ الشعر بآخر كلمة من البيت السابق ، أو باحدى أخواتها ٢ ـ التشريع : la rime brisée ou renforcée ، لا يختلف هذا الضرب عندهم عما هو معروف به عندنا ، إلا أنه نادر الوقوع ونافه لايلتفت اليه

فلو أريد الوقوف على إلا بعد الشوق والصبابة لاستقام المعنى والوزن، نحو :

لا يعرف الشوق إلا . . . ولا الصبابة إلا . . .

وفي البيت علاوة على التشريع الاكتفاء[1] ، وهو أن يحذف الأديب شيئاً من كلامه ، يستغني عن ذكره بدلالة العقل

٣ العكس[2] ، وهو أن يأتي المتكلم بكلام ثم يعكسه فيقدم ما أخّر ، ويؤخّر ما قدّم — نحو كلام الملوك ملوك الكلام ؛ وعادات السادات سادات العادات ؛ وكقوله :

رقّ الزجاجُ وراقتِ الخمرُ ، فتشابها ، فتشاكل الأمرُ
فكأنّما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنّما قدحٌ ولا خمرُ

٤ التردید[3] ، هو أن يذكر الناظم أو الأديب في كلامه لفظة فيعيدها بعينها مع متعلّق آخر تفيد به معنى زائداً ، وهذا النوع يشبه التكرار والتعطّف — نحو :

أبدى البديعُ له الوصفَ البديعَ وفي نظم البديع حلا ترديده بفمي

---

١ — الاكتفاء : la réticence, l'aposiopèse ، ويقوم عندهم بانقطاع المتكلم عن الكلام قبل استيفاء التعبير عن أفكاره اعتماداً على فهم المحذوف بالقرائن ٢ — العكس : l'antimétabole, la régression, la reversion ، كلها أسماء تدل على مسمى واحد ، لا يختلف شيئا عما نسميه العكس ٣ — الترديد : la polyptote ، وهو أن يكرر الكاتب في عبارته كلمة مع تغير أحوال إعرابها

٥ التكرار[١] . أو التكرير وقد مرّ ذكره . هو أن يذكر الناظم أو الكاتب لفظة ثمّ يعيدها لتقرير المعنى في ذهن السامع ، سواء كانت اللفظة موصولة بأختها أو مفصولة ، كقوله :

حتّى متى ، يا صاحبي ، لاترعوي حتّى متى ، حتّى متى ، وإلى متى ؟

٦ ما لا يستحيل بالانعكاس[٢] ، وهو أن يأتي المتكلّم بكلام ، لو عكسه ، لكان عكسه كطرده ؛ وهذا النوع لا يعدُّ من المحاسن إلاّ إذا برىء من التكلف والعقادة ، وقد يكون في النثر والنظم — نحو أرانا الإله هلالاً أنارا ؛ أو كقوله :

مودّتُهُ تدوم لكلّ هولٍ وهلْ كلُّ مودّتُهُ تدومُ ؟

٧ الترتيب[٣] ، وهو أن يقصد المتكلّم ذكر أفعال أو أوصاف شتّى لموصوف واحد ، فيأتي بها مرتّبةً ترتيباً طبيعياً ، أو بحسب وقوعها — نحو :

ألمّوا فحيُّوا ثمّ قاموا فودّعوا فلمّا تولّوا كادت النفسُ تزْهَقُ

٨ التعديد[٤] ، أو سياقة الأعداد ، وهو أن يأتي الأديب بكلمات منفردة

---

١ — التكرار : l'anaphore ، وهو عندهم ان تبدأ عدة أبيات متتابعة بلفظة واحدة

٢ — ما لا يستحيل بالانعكاس : les vers anacycliques, palindromes, cancrins ou rétrogrades . هو من الشعر عندهم ما تستقيم قراءته طرداً وعكساً — كأن يبدأ بآخر حرف من بيت الشعر الى أوله أو بآخر كلمة منه الى الاولى دون تغيير في المعنى ، أو مع بعض التغيير

٣ — الترتيب : l'anticlimax, la gradation ، وهو عندهم نوعان صاعد وهو ما يذهب به من الادنى الى الاعلى ونازل وهو ما يذهب به من الاعلى الى الادنى ، ومزدوج وهو الجامع بين الاثنين

٤ — التعديد : la conjonction ، هو إعادة العاطف ، فيحدث له تأثير في النفس فيتوهم أن الاشياء كثرت بسبب تلك الاعادة .

يوقعها على سياق واحد يضمها العاطف : تحلّى عادة بمطابقة أو جناس ، كقوله :

الخيلُ والليلُ والبيداء تعرفني ، والسيف والرمح ، والقرطاس والقلمُ

٩ التوزيع[1] ، هو أن يلتزم الأديب في كلامه حرفاً مخصوصاً في جميع ألفاظه أو أكثرها ، من غير تكلف ، نحو قوله :

سيفٌ يسرُّك سلُّهُ وسؤالُهُ لمساءة تؤسى وسلبِ نفوسِ

١٠ الالتزام[2] ، هو أن يأتي الناظم قبل حرف الروي ، بما لا يلزم في التقفية من حرف مخصوص أو أكثر . كقوله :

كُلْ واشربِ الناس على خبرة فبهم يمرُّون ولا يعذبون

ولا تصدقهم ، إذا حدّثوا فانهم من عهدهم يكذبون

١١ الحذف[3] ، هو أن يلتزم الناظم في بيت أو أكثر من شعره حذف حرف من حروف الهجاء ، أو نوع منها ، دون تكلّف ولا تعقيد — نحو قوله ، وقد حذف منه الحروف المعجمة :

اعْدِدْ لحسّادك حدَّ السّلاح وأورد الآمل وِرْدَ السّماح

---

١ — التوزيع : « l'allitération » هو تكرار الحروف أو الكلمات عينها في الجملة الواحدة

٢ — الالتزام : « les rimes très riches, doubles ou superflues. »

٣ — الحذف : « le lipogramme » ، ولا يختلف هذا النوع عما هو معروف عندنا ، إلا أنه محتقر لا يلتفت اليه ، لعسر مزاولة ، وقلة إفادته المعنوية .